التربية النفسية والاخلاقية عند مسكويه في كتابه (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق)

اعداد

أ.م . د. طه جزاع
مركز البحوث التربوية والنفسية / جامعة بغداد

م.د. اركان سعيد خطاب
مركز البحوث التربوية والنفسية / جامعة بغداد

الفصل الاول

❁أهمية البحث :

أن الامم والشعوب لاتستطيع المحافظة على استمرار وجودها وتقدمها ورقيها، إلابفضل إعداد اجيالها المتعاقبة الاعداد السليم المتكامل ، وبقدر ما تحافظ الامم والشعوب على تربية هذه الاجيال للتمسك بدينها ، ومعتقداتها ، واخلاقها ، بقدر ما تحافظ على بقائها وعلو شأنها ، وكما فطنت الامم والشعوب إلى اهمية تربية اجيالها ، فطن اعداؤها الى ضرورة التخريب في جذور البناء الصحيح لتربية الاجيال (فاطمة ، ١٩٩٨، ص٢).

والتربية تراكم من النضج عبر التطور ، وجهد موصول على مر الايام ، وقد لانفقه الكثير من المعاني المتعلقة بتراث التربية الحديثة ، اذا لم نرجع الى اصولها وجذورها ، وإذا لم نتبين كيف ولدت وتكونت خلال الارث الحضاري الذي تنتسب اليه (عبد الدائم ، ١٩٧٨، ص٢١).

فالتربية اذن مفهوم واسع وشامل ، وهي تبعاً لهذا المفهوم الواسع تشكل الشخصية ، وتؤهل الهوية ، وتسعى الى ايجاد الانسان الصالح المنتج ، القادر على المساهمة الفعالة في تطوير مجتمعه بشكل يتسق والقيم والمثل العليا للمجتمع ، ويتوجه بجهد نحو غايات واهداف واضحة ومتعددة ، حددتها فلسفة الدولة وأكدتها شرائعها و دساتيرها ، ورسمتها برامجها المتنوعة والمتعددة(الذيفاني ١٩٩٧، ص٢٥).

أن الاقطار العربية والاسلامية امام تحدٍ حضاري وفكري وعملي تعيشه في مواجهة كاملة مع تحديات واعباء وضغوط منها تحدي الصحة او المرض ، وتحدي الحياة او الموت الا أن هذا التحديات علامة خطر وصحة في آن واحد ، في جانب يتحدى هويتنا وذاتنا ، وفي جانب أخر يجابهنا بسؤال حاد صارخ في كل لحظة من لحظات وجودنا : من انتم ؟واين موقعكم في محيط الحياة الانسانية الواسع

ومن مجراها الدافق ؟ وتحت سؤال اخطر ما موقعنا أمام نفوسنا ومن محيط وجودنا ؟ ان الاجابة عن هذه الاسئلة اكثر ما يعني ، تحديد الهوية الحضارية ، وما هو اعمق من ذلك تحديد الوعي والهوية التربوية ، فدور التربية في هذا المجال خطير وضخم أذ هي الوسيلة الفعالة لاعادة الوعي ، وأثبات الذات وترجمتها الى واقع حي حياة في الافراد والمجتمعات على السواء (ابو العينين ، د.ت ، ص٧-٨).

أن مشكلة التربية في العالم الاسلامي لا تكمن في الانعزال عن الامم الاخرى بقدر ما تكمن في جهل دقائق التربية الاسلامية في عصور الاسلام المختلفة (عبد الله ، ١٩٨٨، ١٣).

إذ أننا لا نزال في مرحلة الضعف عن تمثيل تراثنا بشكل صحيح ومن ثم القدرة على غربلته وفحصه والافادة من العقلية المنهجية التي أنتجته ، لتنمية القدرة على أنتاج فكري معاصر يوازيه ، كما ان هنالك من يقف امام التراث للتبرك من غير ان تكون له القدرة على العودة الى الينابيع التي استمد منها ، لينتج تراثاً معاصراً قادراً على قراءة مشكلات العصر ، وتقديم الحلول الموضوعية الموافقة لحركة الحياة (حسنة ، ١٩٩٢، ص٢٠).

ويرى بعض المفكرين والمربين ان عدم العناية الكافية بالتراث ، قد أدى الى ان تعاني تربيتنا المعاصرة ازمة حادة تتمثل في تجاهلها لقيمة التراث وأهميته في بناء شخصية الامة واعطائها الهوية الثقافية المميزة ، وكذلك أدى الى انحراف هذه الامة في التيارات الفكرية والثقافية السائدة والتقليد الاعمى ونسيان الذات ، مما طبع تربيتنا بالجفاف الروحي ، وطبع مجتمعنا بالتمزق الداخلي والاضطراب الخلقي ، والتبعية الفكرية ، والركض وراء اساليب وطرائق الفكر التربوي العالمي ، مما ادى الى تغريب الانسان العربي المسلم وتشويه فكره وروحه وسلوكه (البريزات ، ١٩٨٤، ص١٤).

فالقضية التي ينبغي التاكيد عليها هي أن اي انفتاح على الامم الاخرى يجب ان يسبقه ادراك كامل للعقيدة التي تؤمن بها الامة ، فحاجتنا الى الاطلاع على تربية غيرنا لايجوز ان تتقدم على معرفة مبادئنا التربوية أو أن تكون على حساب الاصالة التي تجلت في العصور الاسلامية الاولى ، لان الطالب العربي المسلم مطالب بمعرفة الفكر التربوي في مدرسة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) كأعظم مصلح ومربٍ عرفته البشرية ، وعند الغزالي والرازي والنووي ومسكويه ، قبل معرفة الفكر التربوي عند روسو وفرويد وديوي (عبد الله ، ١٩٨٨، ص١٣١).

لقد ترك لنا علماؤنا على مر السنين من المؤلفات الغزيرة التي تضمنت عصارة فكرهم وابداعهم الحضاري والثقافي ، مما يشكل اليوم التراث العربي الاسلامي ، اذ صدرت عنهم اراء تربوية ثاقبة داخل اطار الفهم العميق للاسلام ولرسالته الخالدة ، فكانت كتب الفقه والحديث والادب وعلم الكلام والاخلاق والفلسفة في مضمونها تحتوي على اراء ومواقف تربوية صائبة ودروساً لها اهمية كبيرة في فكرنا التربوي المعاصر نستطيع بواسطتها سد فجوات الضعف في معتقداتنا وفي ممارساتنا ، ومسكويه هو احد الاعلام الذين صدرت عنهم آراء تربوية ثاقبة داخل إطار الفهم العميق للاسلام حيث كان عالماً

اخلاقياً بارعاً وطبيباً فاضلاً خبيراً بصناعة الطب جيد الاحاطة باصولها وفروعها وكان مؤرخاً قديراً وقد كانت له ايضاً مشاركة حسنة في العلوم اللغوية والادبية والعلوم القديمة (فروخ ، ١٩٨١ ، ص٣٢٥).

وقد اخترنا احد مؤلفاته المميزة وهو كتاب (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق)

لدراسة ما تناثر من لآلئ في ثنايا هذا الكتاب وبيان تطبيقاتها في الجانبين التربوي والاخلاقي.

❁ مسوغات البحث :

١- الوقوف على المدى الذي بلغه علماؤنا في فهم ابعاد العملية التعليمية فهماً صحيحاً ، والتعرف على ماضمه تراثنا من مبادئ تربوية تحتاج الى يد التنقيب والبحث الواعية ، إيماناً منا بأن مايبذل في أمتنا من جهود في مجال التربية لن تكون صحيحة وهادفة إلا اذا كان تراثنا هو أول ما تقوم عليه وتستند اليه .

٢- إن هذا البحث محاولة لتأصيل الافكار التربوية الاسلامية التي وردت في كتاب مسكويه لمواجهة ما تعانيه الامة العربية والاسلامية من حالات التمزق الداخلي ، والاضطراب الخلقي والتبعية الفكرية ، وفقدان الهوية نتيجة الغزو الثقافي والفكري الناتج عن الاتجاه نحو محاكاة الغرب ، مما ادى الى ظهور اجيال مسلمة قد لا تعرف عن رجالات الفكر التربوي العربي الاسلامي الا الشيء القليل.

٣- الاشارة الى أن لدينا تراثاً تربوياً ليس كما يراه بعضهم ترقيمات ميتة من مداد مسكوب على ورق ، وإنما هو مفاهيم ومعان وقيم ومبادئ ينبغي أن تظل حية تتفاعل مع مقومات العصر التربوية وتزكي عملنا التربوي وتؤصله بما تمنحه من التميز والنمط الخاص.

❁ هدف البحث:

يهدف البحث الى استخلاص وتحديد المفاهيم النفسية والاخلاقية في كتاب (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) لمسكويه مما يسهم في وضع برنامج تربوي ونفسي واجتماعي يستمد اصوله من تراثنا العربي الاسلامي ، وبما يتلائم مع حاجات المجتمع المعاصر ومشكلاته ، ويعمل على ترسيخ القيم الاخلاقية الاصيلة في نفوس الشباب ، ويعزز هويتهم الحضارية ،ويصونهم من التوجهات والسلوكيات والمفاهيم الخاطئة التي يزخر بها عالمنا اليوم.

❁ حدود البحث :

يتحدد البحث بما ورد في المقالتين الاولى والثانية من كتاب (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) لمسكويه ، وهما المقالتان الاساسيتان من مجموع سبع مقالات يضمها الكتاب اللتان يعنيان مباشرة بالتربية النفسية والاجتماعية اضافة الى الغرض من تاليف الكتاب الذي حدده مسكويه في مقدمة كتابه.

❁تحديد المصطلحات :

- **التربية لغة تعني النمو والزيادة والتغذية والتنشئة والرعاية، قال الاصمعي : ربوت في بني فلان : نشأت فيهم ، وربيت فلان اربيه تربية وتربيته وربته بمعنى واحد (ابن منظور ، ١٩٦٨ ، ج١٤ ، ص٢٠٧).**

وقد اورد الامام البيضاوي في تفسير قوله تعالى (رب العالمين) في سورة الفاتحة قوله " الرب في الاصل : مصدر بمعنى التربية ، وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئاً فشيئاً " (البيضاوي ، ١٩٧٨ ، ج١، ص٣).

❁ والتربية اصطلاحاً :

اولاً : تبليغ الشيء – إيصاله – الى كماله وهذا الايصال يختلف من شيء الى آخر مراعاة لتكوينه.

ثانياً: في تحديد الهدف في الوصول الى كماله حسب استعداده ومواهبه.

ثالثاً: متدرجة يسير بها المربي شيئاً فشيئاً ، فعامل الزمن ونضوج المواهب امر مهم في نجاح التربية وتقديم العام على الخاص ، وتقديم الاهم على المهم ، من ضرورات التدرج النامي .

رابعاً : مستمرة فالتدرج لا يقف عند حد ، بل هو من المهد الى اللحد ، فالتربية هي الحياة ، تستمر مادامت الحياة مستمرة.

خامساً: ذات هدف اعلى في حياة الفرد نفسه ، وفي حياة الناس جميعاً وكما أنها لخير الانسان ، فإنها في اللحظة نفسها وقبل كل شيء لمرضاة الله تعالى (العامر ، ١٩٩٠ ، ص١٨).

الفصل الثاني

مسكويه ....حياته ... عصره

كتبه ومؤلفاته .

❁حياته وعصره :

يعد مسكويه ، واسمه ابو علي أحمد بن محمد بن يعقوب ، من الفلاسفة والادباء والاطباء والمؤرخين المخضرمين الذين عاشوا أواخر القرن الرابع الهجري واوائل القرن الخامس ، وهي فترة تاريخية مثيرة ، شهدت افول وانهيار الخلافة العباسية في بغداد ، وصعود نجم الدولة البويهية .

ولد في الري سنة ٣٢٥هـ ، وتوفي في اصفهان سنة ٤٢١هـ (١٠٣٠م) ولقب بمسكويه ، وهي لفظة أعجمية مركبة معناها (رائحة المسك) كناية عما تميزت به شخصيته من خصال حميدة ، واخلاق رفيعة ، وأدب جم ، وهو معاصر لعدد من الادباء والفلاسفة امثال ابن سينا ، والبيروني ، والتوحيدي ، ويحيى بن عدي ، ويعد من الجيل التالي مباشرة للفارابي ومعاصر للعامري ، وقد اتصل بهذا الاخير ولكنه لم يأخذ منه شيئاً حسب رواية التوحيدي { الجابري،٢٠٠١ : ٤٠٥} .

ويرى الشيخ حسن تميم في مقدمته لكتاب مسكويه (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) أن بعض القدماء أمثال الشهرزوري توهم بأضافة لفظ إبن قبل لقب (مسكويه) بحيث يصبح اللقب في سياق اسمه لجده الاول والحق انه لقبه ، بدليل أن الذين قالوا (بأبن مسكويه) قلة ، بينما الاغلبية الساحقة منهم تؤيد كون (مسكويه) لقباً له بالذات ، كأبي حيان التوحيدي ، والثعالبي ، والخوارزمي وابي سليمان المنطقي ، وحاجي خليفة ، والقفطي ، وابن ابي اصيبعة ، ويؤيد هذا الرأي ايضاً ستة رسائل لمسكويه موجودة في الاستانة يذكرها الدكتور عبد العزيز عزت في كتابه الذي يعد أوفى وأشمل كتاب عن مسكويه و فلسفته وكذلك ماورد في مؤلفات القدماء من معاصريه او غيرهم امثال التوحيدي في كتابه (الامتاع والمؤانسة) ، وابن ابي اصيبعه في (عيون الانباء في طبقات الاطباء)، والثعالبي في (يتيمة الدهر) ، والقفطي في (تاريخ الحكماء) ، وحاجي خليفة في (كشف الظنون).

عاش مسكويه في عصر الدولة البويهية ، وكان ذا حضوة ومكانة عند عضد الدولة ، واتصل بابن العميد ، محمد بن الحسين بن محمد ، ابو الفضل الذي تولى الوزارة لركن الدولة البويهي ، وكان متوسعاً في علوم الفلسفة والنجوم ووزيراً من أئمة الكتاب ، وخبيراً بتدبير شؤون الملك ، وفيه قال الثعالبي (بدأت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) وكانت له مكتبة ضخمة نفيسة ، وعمل مسكويه كاتباً لسر الوزير الحسن بن محمد المهلبي ، وزير عضد الدولة ، ثم اصبح اميناً لخزانة كتبه حتى سنة ٣٦٠ حيث توفى ابن العميد وخلفه ابنه ابو الفتح ، علي بن محمد الحسين ، فظل مسكويه في منصبه ، ولما سجن ابو الفتح وقتل سنة ٣٦٦ هـ ، ارتقى الى منصب الوزارة الصاحب بن عباد

الذي رغب بضم مسكويه الى حاشيته ، غير إنه ابى ذلك لعزة نفسه ، وبسبب مشاحنة سابقة حصلت بينه وبين ابن عباد في مجلس ابن العميد ، ثم اتصل مسكويه بعضد الدولة البويهي الذي كان يعرف شخصيته وكفاءته فقربه اليه ، وجعله جليسه ونديمه ، وخازن كتبه ورسوله الى نظرائه واستمر مسكويه بعلاقته مع ابناء عضد الدولة بعد وفاة الاخير ، ومجالسته ومنادمته للوزراء ، والفلاسفة ، والادباء ، والاطباء ، الذين عاصرهم الى حين وفاته سنة ٤٢١هـ.

اشتغل مسكويه وبرع في الكيمياء والطب والتاريخ ، والفلسفة ، والادب ، والشعر ، وتقلد خلال حياته الطويلة التي امتدت نحو ٩٦ عاماً العديد من المناصب والوظائف في بلاط الدولة البويهية كما رأينا ، غير ان من اكثر المناصب التي كانت اثيرة الى نفسه ومؤثرة في تكوين ثقافته عمله خازناً لمكتبات عدد من الوزراء ومنها المكتبة الاضخم والانفس في عصره ، مكتبة الوزير ابن العميد اذ كان مسكويه ينظر الى الكتاب على أنه ينبوع الثقافة ، والمعلم والجامعة ، التي تربى فيها ، لذلك نراه يشيد بالكتب في اشعاره فيقول:

فأن تمنيتَ عيش الدهر أجمعه

وأن تعاين ماولى من الحقبِ

فأنظر الى سير القوم الذين مضوا

والحظ كتابتهم من باطن الكتبِ

يقول التوحيدي ، صاحب (الامتاع والمؤانسة) عن مسكويه ، أن حظه من المنطق قليل لانه إنشغل بالكيمياء ، وكان مفتوناً بكتاب ابي بكر زكريا وجابر بن حيان ، ثم يذكر في كتابه (المقابسات) العهد المعروف الذي عهده مسكويه على نفسه :

{ بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما عاهد عليه احمد بن محمد وهو يومئذ آمن في سربه معافى في جسمه ، عنده قوت يومه ، لا تدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولابدن ، ولا يريد بها مراءات فلا يوالي مخلوقاً ، ولا يستجلب منفعة من الناس، ولا يستدفع مضرتهم ، عاهده على ان يجاهد نفسه ويتفقد أمره ماأستطاع ، فيعف ، ويشجع ، ويحكم ، وعلامة عفته ان يقتصد في مآرب بدنه حتى لا يحمله السرف على ما يضر جسمه او يهتك مروءته ، وعلامة شجاعته أن يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ، ولا غضب في غير موضعه ، وعلامة حكمته أن يستبصر في اعتقاداته حتى لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ليصلح نفسه اولاً ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها التي هي العدالة ، وعلى ان يتمسك بهذه التذكرة ويجتهد في القيام بها والعمل بموجبها) ثم يذكر مسكويه خمسة عشر باباً منها :

١. ايثار الحق على الباطل في الاعتقادات ، والصدق على الكذب في الاقوال ، والخير على الشر في الافعال.

٢. كثرة الجهاد الدائم لاجل الحرب الدائمة بين المرء ونفسه.

٣. التمسك بالشريعة ولزوم وظائفها ، وحفظ المواعيد حتى ينجزها .

٤. ترك الخوف من الموت والفقر.
٥. ترك الاكتراث لاقوال اهل الشر والحسد.
٦. ذكر المرض وقت الصحة ، والهم وقت السرور.
٧. الرضى عند الغضب ليقل الطغي والبغي .
٨. الاشفاق على الزمان ، الذي هو العمر يستعمل في المهم دون غيره.
٩. التزام الصمت في الكلام حتى يستشار فيه العقل.
١٠. قوة الامل ، وحسن الرجاء ، والثقة بالله عز وجل ، وصرف جميع البال اليه.

❁ كتبه ومؤلفاته

على الرغم من ان مسكويه ترك زهاء ثلاثين مصنفاً ، بين كتاب ورسالة ، ومقالة ، الا أنه لم يبق من هذه الكتب والمؤلفات الا العدد القليل أهمها (الفوز الاصغر) و(الحكمة الخالدة) الذي هو بمثابة تقديم لكتاب (تجارب الامم وتعاقب الهمم) (وترتيب السعادة) ، وكتاب (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) وهو كتاب (الفوز الاكبر) ذاته كما يرجح الدكتور عبد العزيز عزت ، خلافاً لما ذهب اليه كل من كتب عن مسكويه {عبد العزيز ، عزت : د . ت ١٣٤-١٣٨}.

والذي هو محور بحثنا هذا لما احتواه من مباديء واسس نفسية ، واجتماعية وتربوية قيمة وكثيراً مايأخذ مسكويه بأراء تربوية واخلاقية تعود الى افلاطون وارسطو والتقائه معهما في هذه الاراء { عباس : ٤٠-٥١} التي جعلها ضمن دستوره الاخلاقي لتربية النشأ التربية الصحيحة ، أنطلاقاً من ان مهمة التربية الحقيقية تكمن في اعادة تشكيل حياة الانسان والمجتمع (عبد الدائم :١٩٧٣، ٥١٤-٥١٥) (ذلك ان الفرد الصالح هو الذي ينحو نحو صالح المجموع وما صالح المجموع إلا تركيبة مؤلفة من صوالح الافراد) { رسل : ١٢} . من جهة اخرى فأن مسكويه ينظر الى احداث التاريخ على أنها يمكن ان تحدث احياناً بالوضع والايقاع نفسيهما (التاريخ يعيد نفسه) لذلك ينصح العاقل ان يتخذ من التاريخ درساً وعبرة {عبد العزيز سعد:١٩٧٧، ٣٤} . وهناك من الباحثين في تاريخ الفلسفة الاسلامية من يؤكد ان مسكويه يمثل ذلك النوع من الفلاسفة الذين يتذوقون بشكل خاص دراسة العادات والحضارات والامثال والحكم {كوربان :١٩٨٣، ٢٦٥} ويلاحظ ماجد فخري بغرابة اننا نكاد لانجد في الفكر العربي قديمه وحديثه بحثاً واحداً في الاخلاق اذا استثنينا كتابي يحيى بن عدي ، ومسكويه في (تهذيب الاخلاق) اللذين نسجا فيهما على منوال ارسطو والرواقيين من الفلاسفة اليونان { فخري ، ٢٩٦} كما يشير الى أن بعض المؤرخين عندنا ، لسبب نجهله ، اصطلحوا (على قصر ابحاثهم على طائفة محظوظة من الفلاسفة ، كالكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون ، فتجاوزوا عن عمد أو غير عمد ، عدداً من أئمة الفكر العربي ، كأبي بكر الرازي ومسكويه) { فخري :٢٣٩} . وقد

نوه أحمد امين في كتابه (الاخلاق) الذي اصدره عام ١٩٢٠ بمسكويه ، اذ عده (اكبر باحث عربي في الاخلاق) مشيراً الى أنه في كتابه (تهذيب الاخلاق)

حاول ان يمزج تعاليم افلاطون وارسطو وجالينوس بتعاليم الاسلام ، ولكن لم يسر كثير من علماء العرب على منواله {امين :١٩٥٧، المقدمة} .

ويرى الجابري أن مسكويه ينتمي كمعاصره العامري الى جماعة (المقابسات) وينطبق عليه ما ينطبق عليهم (لقد خاض في موضوعات شتى ، واقتبس من هذه الثقافة او تلك ، ونقل عن هذا المؤلف وذلك) {الجابري :٢٠٠١ ، ٤٠٦} ولذلك فانه يعد كتاب (تجارب الامم) لمسكويه عبارة عن نقول حرفية من الطبري ومن معاصريه ، اضافة الى مشاهداته ، اما كتابه (الحكمة الخالدة) فهو يشتمل على وصية تحمل الاسم نفسه (جاويذان خرد)* للملك الفارسي يوصي بها ولده والملك من بعده ، اضافة الى حكم ومرويات من كل الامم ابتدأها بحكم الفرس ، ثم حكم الهند ، ثم حكم العرب ، ثم حكم الروم ، ثم حكم الاسلاميين المحدثين ، ثم خاتمة من اقوال لافلاطون ومن وصايا ابي الحسن العامري وكلمات للجاحظ {الجابري :٢٠٠١، ٤٠٦} ويعرج الجابري على كتاب تهذيب الاخلاق ويصفه بانه (تأليف) بين آراء افلاطون وارسطو وجالينوس وغيرهم ، (يعتمد نظرية افلاطون في مايخص النفس وطبيعتها وقواها والفضائل المقابلة لهذه القوى الخ، اضافة الى افعال ينسبها لارسطو وهي لافلاطون ... هذا الخليط من الاراء والمرجعيات صاغه مسكويه صياغة فريدة بمظهر علمي ارسطي ، ومضمون متنوع يتناقض كثير منه مع الروح الارسطية ، انها ظاهرة (المقابسات) تفرض نفسها هنا حتى على ماريد منه ان يكون خاضعاً لمنهج علمي) {الجابري :٢٠٠١ ، ٤٠٧}.

عوضاً عن كتبه المهمة التي استعرضناها في هذا الفصل فأن لمسكويه ، مصنفات ورسائل وكتب اخرى ، ذكر بعضها القفطي في اخبار العلماء باخبار الحكماء مثل كتاب (أنس الفريد) وهو في الحكايات القصار والفرائد اللطاف ، وكتاب (الادوية المفردة) ، وكتاب (في تركيب الاطعمة) ، كما يذكر له ياقوت الحموي كتباً مثل (الجامع) و(السيرة) و(مختار الشعر) ، اما رسائله فيحصيها الدكتور عبد العزيز عزت في كتابه الشامل (أبن مسكويه ..فلسفته الاخلاقية ومصادرها) وبعض هذه الرسائل قصيرة إذ لا يتعدى الواحدة منها الصفحة الواحدة ، أو الصفحتين فقط مثل (رسالة في الطبيعة) و(رسالة في اللذات والالام) و(رسالة في جوهر النفس) و(مقارنة في النفس والعقل) و(مقال في اثبات الصور الروحانية التي لاهيولى لها) و(تعريف الدهر والزمان) و(الوصايا الذهبية) لفيثاغورس و (وصية لطالب الحكمة) وهي ضمن كتاب (صيوان الحكمة) لابي سليمان المنطقي.

* جاويذان خرد باللغة الفارسية ومعناه العقل الازلي ، أو العقل الخالد.

الفصل الثالث

أسس ومبادئ التربية النفسية

والاخلاقية عند مسكويه

يعد كتاب (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) واحداً من أهم كتب مسكويه في الفلسفة الاخلاقية والتربوية ، وقد اعيد طبع هذا الكتاب مراراً سيما في مطابع القاهرة وطهران { كوربان :١٩٨٣، ٢٦٦} وبيروت ، ومن اشهر تلك الطبعات تلك التي حققها قسطنطين زريق ونشرت في بيروت عام ١٩٦٦ ، وسنعتمد في بحثنا هذا على طبعة دار مكتبة الحياة للكتاب المذكور والتي قدم لها الشيخ حسن تميم سنة ١٣٩٨ هـ بمقدمة وافية تناولت حياة مسكويه وتقلبه في المناصب والاعمال واتقانه لعلوم عصره ، والذين عاصرهم ، والذين عاشرهم من الوزراء ، والفلاسفة ، والاطباء ، والادباء ، والمؤرخين ، والمهندسين ، والرياضيين ، ودستوره الاسلامي ، ومصنفاته .

يلخص مسكويه غرضه من تأليف هذا الكتاب بقوله : ان نحصل لانفسنا خلقاً تصدر به عنا الافعال كلها جميلة ، وتكون مع ذلك سهلة علينا لاكلفة فيها ولا مشقة ، ويكون ذلك بصناعة وعلى ترتيب تعليمي والطريق في ذلك أن نعرف اولاً نفوسنا ما هي ؟

واي شيء هي؟ ولأي شيء اوجدت فينا ؟ اعني كمالها وغايتها ، وما قواها وملكاتها التي اذا استعملناها على ما ينبغي بلغنابها هذه الرتبة العلية ، وما الاشياء العائقة لنا عنها وما الذي يزكيها فتفلح ، وما الذي يدسيها فتخيب .

وغني عن القول أن مسكويه يشير في ذلك الى قوله عز وجل في الايات ٧ ،٨، ٩، ١٠ ، من سورة الشمس (ونفسٍ وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ، قد افلح من زكاها ، وقد خاب من دساها) لكن كيف يفلح من زكى نفسه ، وكيف يخيب من دساها ؟ هنا يبدأ مسكويه برنامجه التربوي والاخلاقي والنفسي الذي لابد ان يقوم على صناعة وترتيب وتخطيط ونظر متأمل في قوى النفس ومكانتها التي اذا ما وجهها الوجهة الصحيحة فانها تقود الى بناء الانسان الصالح ، اي انه يقوم ببناء برنامج تربوي سيقوم بعرضه في مقالات كتابه المؤلف من سبع مقالات هي على التوالي (تعريف النفس الانسانية) و (الاخلاق والطبائع) و(الفرق بين الخير والسعادة) و (اعمال الانسان) و(أنواع المحبة) و(الامراض النفسية) واخيراً المقالة السابعة التي تحمل عنوان (الطب النفساني)

والذي يهمنا بصورة اساسية لاغراض هذا البحث المقالتين الاولى والثانية اذ يبحث مسكويه في المقالة الاولى في الفرق بين النفس والجسم متوصلاً بالامثلة والنظر الفلسفي الى ان النفس ليست جسماً ولا جزءاً من جسم ولاعرضاً ، وانها تشوق الى ماليس من طباع البدن وتحرص على معرفة حقائق الامور الالهية ، وتميل الى الامور التي هي افضل من الامور الجسمية ، ولان النفس ايضاً

تقبل صورة الاشياء كلها على اختلافها من المحسوسات والمعقولات فأن الانسان يزداد فهماً (كلما ارتاض وتخرج في العلوم والاداب) { مسكويه : ٣} وبذلك يؤكد مسكويه دور التعلم في بناء الانسان من خلال صقل النفس التي تمتلك من القوى والملكات ما يجعلها قادرة على التعلم وتحصيل المعارف والعلوم والاداب ومؤهلة للتعرف على حقائق الامور وجواهرها . ويعود الى تاكيد ذلك في المقالة الثانية عن الاخلاق والطبائع بقوله (ليس شيء من الاخلاق طبيعياً للانسان ، ولا نقول انه غير طبيعي وذلك أنا مطبوعون على قبول الخلق بل ننتقل بالتأديب والمواعظ اما سريعاً أو بطيئاً ، وهذا الرأي الاخير هو الذي نختاره لانا نشاهده عياناً ، ولأن الرأي الاولي يؤدي الى ابطال قوة التمييز والعقل ، والى رفض السياسات كلها وترك الناس همجاً مهملين ، وان ترك الاحداث والصبيان على ما يتفق ان يكونوا عليه بغير سياسة ولا تعليم) { مسكويه :٥١} ويفرق بين الكمال النظري والكمال العلمي ، فالكمال الاول منزلته منزلة الصورة ، والكمال الثاني منزلته منزلة المادة (وليس يتم أحدهما الا بألاخر لأن العلم مبدأ والعمل تمام ، والمبدأ بلاتمام يكون ضائعاً ، والتمام بلامبدأ يكون مستحيلاً وهذا الكمال هو الذي سميناه غرضاً ، وذلك ان الغرض والكمال بالذات هما شيء واحد ، وانما يختلفان بالاضافة ، فأذا نظر اليه وهو بعد في النفس ولم يخرج الى الفعل فهو غرض ، فأذا خرج الى الفعل وتم فهو كمال ، وكذلك الحال في كل شيء لان البيت أذا كان متصوراً للباني ، وكان عالماً باجرائه وتركيبه وسائر اصوله كان غرضاً ، فاذا اخرجه الى الفعل وتممه كان كمالاً) { مسكويه : ٥٨} وهنا يفرق مسكويه بوضوح بين وجود الشيء بالقوة ووجوده بالفعل (على وفق فلسفة ارسطو)*واذا ما طبقنا ذلك على المنهاج التربوي والتعليمي واسسه النفسية واغراضه الاجتماعية فاننا نجد ان مسكويه يدعو الى بناء ذلك المنهاج ليس على اسس نظرية فحسب ، وأنما على نظرة عملية تحقق الكمال والغاية استناداً الى وضع تصور واضح عن المتلقي وقدراته الذهنية وملكاته النفسية ، وهذه من الامور المهمة جداً في اي منهاج تربوي هادف ،لأن هذا التحويل للاطار النظري الى حياة ، أدى ويؤدي الى ظهور شخصية جديدة للفرد والمجتمع ، تتميز عن شخصية الفرد والمجتمع السابقة ، هذا التحويل هو الذي نعنيه بالتشكيل (التربية) لانه تشكيل جديد وفق مقاييس جديدة { فرحان :١٩٨٦، ١٢٧}.

أن النفس عند مسكويه جوهر مغاير لجوهر الجسم لانها لا تتغير ولا تستحيل كما تتغير وتستحيل الاجسام ، وانه بهذا الحد لا يختلف عن حد افلاطون لها ، الذي يحدها – اي يعرفها – بأنها جوهر مخالف لجوهر البدن ، وكل من النفس والبدن يتشوق الى افعال تناسب طبيعته وجوهره ، وكل يشتاق لما يناسب طبيعته { التكريتي :١٩٨٢، ٣٤٤-٣٤٥}.

* تمثل ثنائية القوة والفعل حجر الزاوية في النظام الفلسفي الارسطوطاليسي فقد وجد ارسطو في هذه الثنائية مخرجاً من طائفة من المشاكل العقلية العويصة في مقدمتها ظاهرة الصيرورة أو التغير في الكون . فقوة الانبات في البذرة هي التي تجعل النبات يخرج من الوجود بالقوة الى الوجود بالفعل (للمزيد انظر على سبيل المثال : ماجد فخري : ارسطو المعلم الاول ، الاهلية للنشر والتوزيع بيروت ١٩٥٨).

وهو يحذو حذو افلاطون في تقسيمه لقوى النفس الى ثلاث قوى[١] هي القوة الناطقة ، والقوة الشهوية ، والقوة الغضبية وكما ان للنفس ثلاثة قوى كذلك لها ثلاث فضائل ، ففضيلة النفس الناطقة هي الحكمة ، وفضيلة النفس الشهوية هي العفة ، وفضيلة النفس الغضبية هي الشجاعة ومتى ما كانت حركة النفس الغضبية معتدلة تطيع النفس العاقلة في ما تقسطه لها ، فلا تهيج في غير حينها حدثت عنها فضيلة الحلم وتتبعها فضيلة الشجاعة . ثم يحدث عن هذه الفضائل الثلاث ، باعتدالها ، ونسبة بعضها الى بعض فضيلة ، هي كمالها وتمامها وهي فضيلة العدالة ، فلذلك اجمع الحكماء أن أجناس الفضائل اربعة وهي:

1. الحكمة
2. والعفة
3. والشجاعة
4. والعدالة (مسكويه : ٣٨)

واضداد هذه الفضائل الاربع اربع ايضاً وهي :

1. الجهل
2. والشره
3. والجبن
4. والجور

وتحت كل واحد من هذه الاجناس انواع كثيرة)) (مسكويه : ٣٩)

ويذكر مسكويه ضروب الامراض النفسانية المترتبة عليها ، مثل (الخوف ، والحزن ، والغضب ، وانواع العشق الشهواني وضروب من سوء الخلق)) { مسكويه :٣٩} موضحاً أنه سيذكر علاجاتها في كتابه . اما الاقسام التي تقع تحت كل واحد من هذه الفضائل الاربع ، فأن التي تحت الحكمة هي (الذكاء ، الذكر ، التعقل ، سرعة الفهم وقوته ، صفاء الذهن ، سهولة التعلم) اما الفضائل التي تحت العفة فهي (الحياء ، الدعة ، الصبر ، السخاء، الحرية ، القناعة ، الدماثة ، الانتظام ، حسن الهدي ، المسالمة ، الوقار ، الورع) والتي تحت الشجاعة هي (كبر النفس ، النجدة عظم الهمة ، الثبات ، الصبر ، الحلم ، عدم الطيش ، الشهامة ، احتمال الكد ، والفرق بين هذا الصبر والصبر الذي في العفة ان هذا يكون في الامور الهائلة وذلك يكون في الشهوات الهائمة) اما الفضائل التي تحت السخاء فهي (الكرم ، الايثار ، النيل ، المساواة ، السماحة ، المسامحة) والسماحة هي بذل بعض ما لايجب ، اما المسامحة فهي ترك بعض ما يجب والجميع يكون بالارادة والاختيار ، وتحت العدالة تقع فضائل ، الصداقة ، الالفة ، صلة الرحم ، المكافأة ، حسن الشركة ، حسن القضاء ، التودد ، العبادة ، ترك

---

(١) نظر في هذا الشأن : جمهورية افلاطون (الكتاب الرابع) نقلها الى العربية عن الترجمات الانكليزية حنا خباز مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٢٩ وهناك طبعات كثيرة للكتاب.

الحقد ، مكافأة الشر بالخير ، استعمال اللطف ، ركوب المروءة في جميع الاحوال ، ترك المعاداة ، ترك الحكاية عمن ليس بعدل مرضي ، البحث عن سيرة من يحكى عنه العدل ، ترك لفظة واحدة لا خير فيها لمسلم فضلاً عن حكاية توجب حداً او قذفاً او قتلاً أو قطعاً ترك السكون الى قول سفلة الناس وسقطهم ، ترك قول من – يكدّي – اي يسأل الناس ظاهراً وباطناً او يحلف في مسألة او يلح بالسؤال فأن هؤلاء لايرضيهم الشيء اليسير فيقولون لاجله حسناً ويسخطهم اذا منعوا اليسير فيقولون لاجله قبيحاً ، ترك الشره في الكسب الحلال وترك ركوب الدناءة في الكسب لاجل العيال ، الرجوع الى الله والى عهده وميثاقه عند كل قول يتلفظ به او لحظ يلحظه او خطرة في اعدائه واصدقائه ، ترك اليمين بالله وبشيء من اسمائه وصفاته رأساً ، وليس بعدل من لم يكرم زوجته واهلها المتصلين بها ، واهل المعرفة الباطنة به ، وخير الناس خيرهم لاهله وعشيرته والمتصلين به من اخ او ولد او متصل بأخ او ولد أو قريب أو نسيب او شريك او جار أو صديق أو حبيب) { مسكويه : ٤٠-٤٤}.

ويعتقد مسكويه ان القوتين الغضبية والشهوية في النفس ، هما في صراع مستمر مع القوة الناطقة ويحاولان جذبها الى الخلط ان استسلمت ، ويرى أن الناطقة قادرة على جعلهما تحت طاعاتها وسلطانها وبها يتمتع الانسان بسلامته ، اي صحته النفسية في تعبيرنا المعاصرة، ومسكويه شأنه شأن جميع أو غالبية العلماء والفلاسفة المسلمين الذين يرون ان على الانسان الاكتفاء باشباع الحاجات الضرورية دون افراط او تفريط (الوسطية المتزنة).

❁وسطية الفضائل :

يعد مسكويه الفضائل أوساطاً بين اطراف ، اتساقاً مع تعريف ارسطو للفضيلة بانها وسط بين رذيلتين ، ولذلك فأن الرذائل هي الاطراف ، وهي التي تضاد الفضائل التي تقصاها وذكر اقسامها وانواعها واجزاءها ، ويعتذر عنه ذكر الرذائل (لان وجود اسمائها في هذا الوقت متعذر .. وإن إتسع لنا الزمان ذكرناها وذلك ان الاطراف التي تسمى رذائل من الافعال والاحوال والزمان وسائر الجهات كثيرة جداً ، ولذلك دواعي الشر اكثر من دواعي الخير) {مسكويه : ٤٥-٤٦}. الا أنه يتوقف عند معرفة الاصول فقط ، كالحكمة التي هي وسط بين السفه والبله ، والعفة التي هي وسط بين رذيلتين هما الشره وخمود الشهوة والشجاعة التي هي وسط بين الجبن والتهور ، والعدالة التي هي وسط بين الظلم والانظلام.

❁ التربية الاجتماعية والاخلاقية

*** التعاون الجماعي**

يرى مسكويه ضرورة تعاون الافراد فيما بينهم ضمن المجتمع الواحد ، والتعاون يعني تكامل الافراد وتناسق جهودهم في كل واحد اعظم فاعلية واكثر نفعاً من تراكمهم في اكوام بشرية لا ترابط بينها ولا تنسيق ، يقول تحت عنوان (التعاون لتحصيل السعادات).

(ولما كانت هذه الخيرات الانسانية وملكاتها التي في النفس كثيرة ، ولم يكن في طاقة الانسان الواحد القيام بجميعها ، وجب أن يقوم بجميعها جماعة كثيرة منهم . ولذلك وجب أن تكون اشخاص الناس كثيرة ، وأن يجتمعوا في زمان واحد على تحصيل هذه السعادات المشتركة ، لتكميل كل واحد منهم بمعاونة الباقين له ، فتكون الخيرات مشتركة والسعادة مفرضة بينهم ، فيتوزعونها حتى يقوم كل واحد منهم بجزء منها ويتم للجميع ، بمعاونة الجميع ، ولاجل ذلك وجب ان تكون الناس يحب بعضهم بعضاً ، لان كل واحد يرى كماله عند الاخر ، ولولا ذلك لما تمت لهذا سعادته ، فيكون أذن كل واحد بمنزلة عضو من اعضاء البدن وقوام الانسان بتمام اعضاء بدنه) {مسكويه: ٣٧}.

والتعاون بهذا المعنى سنة من سنن الحياة وقانون من قوانين الاجتماع الانساني اذ ان الوعي بقيمة الاختلافات والفروق العقلية والنفسية والعاطفية والجسدية بين الافراد والجماعات تجعل الناس اكثر تعاوناً وتماسكاً مما لو تشابهوا.

❁ الاخلاق وتنظيم المجتمع :

تعد الاخلاق ضرورة من ضروريات تنظيم المجتمع ، واذا كان للتربية وظائف مختلفة فمن اهم وظائفها الوظيفة الاخلاقية ، وذلك بحكم ارتباطها بثقافة المجتمع وتاثيرها فيه، والخلق يعني تكامل العادات والاتجاهات والعواطف والمثل العليا بصورة تميل الى الاستقرار في نفس الفرد بحيث تصلح للتنبؤ بسلوكه المقبل { يوسف ، ١٩٩٠ : ٣٢}.

ويرى مسكويه ان الاخلاق حال للنفس داعية لها الى افعالها من غير فكر ولاروية ، وان الاخلاق عند الناس ناتجة عن تأثير الوراثة والبيئة (منها ما يكون طبعاً من أصل المزاج ... ومنها ما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب ، ثم يستمر عليه اولاً فأولاً حتى يصير ملكة وخلقاً) {مسكويه : ٥١}.

ويرى كذلك أن الفطرة الانسانية هي خيرة بطبيعتها ولذلك فنحن (مطبوعون على قبول الخلق بل تنقل بالتأديب والمواعظ اما سريعاً أو بطيئاً)) {مسكويه : ٥١}.

ويؤكد على أهمية تأديب الاطفال واكسابهم الاخلاق الحميدة لانه اذا (ما أهملت الطباع ولم ترض بالتأديب والتقويم ، نشأ كل انسان على سوء طباعه ويقي عمره كله على الحال التي كان عليها في

الطفولية ، وتبع ما وافقه في الطبع : إما الغضب وإما اللذة وإما الزعارة *وإما الشره وإما غير ذلك من الطباع المذمومة) { مسكويه: ٥٤}.

وهذا يعني ان ما يحتاج اليه الطفل غاية الاحتياج الاعتناء بامر خلقه ، فأنه ينشأ على ماعوده المربي في صغره من غضب ولذة وشراسة خلق ، فيصعب عليه في كبره تلافي ذلك ، وتصير هذه الاخلاق صفات وهيئات راسخة له ، فلو تحرز منها غاية التحرز فضحته يوماً ما ، ولهذا نجد ان اكثر الناس منحرفة اخلاقهم ، وذلك من قبل التربية التي نشأوا عليها.

ويؤكد مسكويه على (الشريعة) القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأهميتها في تقويم الاحداث اذ أن (الشريعة هي التي تقوم الاحداث وتعودهم الافعال المرضية ، وتعد نفوسهم لقبول الحكمة ، وطلب الفضائل والبلوغ الى السعادة الانسية بالفكر الصحيح والقياس المستقيم)(مسكويه: ٥٤).

ومن ثم ينصح الاباء بالتنويع بالطريقة والاسلوب الذي يتعاملون به مع الابناء في تنشئتهم على القيم والاخلاق الفاضلة وابعادهم عن الاخلاق المذمومة بما يتلائم مع شدة الموقف وطبيعة الحدث وشخصية الطفل (وعلى الوالدين اخذهم بها وبسائر الاداب الجميلة بضروب السياسات من الضرب ، اذا دعت اليه الحاجة أو التوبيخات ان صدتهم ، او الاطماع في الكرامات او غيرها مما يميلون اليه من الراحات ، او يحذرونه من العقوبات ، حتى اذا تعودوا ذلك واستمروا عليه مدة من الزمن كثيرة امكن فيهم حينئذ أن يعلموا براهين ما أخذوه تقليداً ، وينبهوا على طرق الفضائل واكتسابها والبلوغ الى غاياتها) {مسكويه : ٥٤}.

ويرى ان الحياء عند الصبي دليل على عقله وامارة صادقة على طبيعة الانسان فهو يكشف عن قيمة ايمانه ومقدار أدبه فلذلك على الاباء تربية فضيلة الحياء في نفوس ابناءهم ، وقد وصى الاسلام ابناءه بالحياء ، وجعل هذ الخلق السامي ابرز ما يتميز به الاسلام من فضائل ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن لكل دين خلقاً ، وخلق الاسلام الحياء) {الغزالي : ٢٠٠٠ ، ١٦٩}.

فيقول مسكويه (ان اول ما ينبغي ان ينغرس في الصبي ويستدل به على عقله الحياء ، فإنه يدل على انه قد احس بالقبيح ، ومع احساسه هو يحذره ويتجنبه ويخاف ان يظهر منه او فيه . فأذا نظرت الى الصبي فوجدته مستحياً مطرقاً بطرفه الى الارض ، غير وقاح الوجه ولا محدق اليك فهو اول دليل نجابته ، وهذا ليس بشيء اكثر من ايثار الجميل والهرب من القبيح) (مسكويه :٦٩).

كما ينصح أن ينشأ الصبيان على حب الكرامة وسيما ما يحصل لهم منها بالدين دون المال ، وأن يمدح الاخبار عنده ويمدح هو في نفسه اذا ظهر شيء جميل منه ، ويتخوف من المذمة على ادنى قبيح يظهر منه (مسكويه : ٧٠) وهنا يربي النشئ على عزة النفس والتي تتحقق بالتمسك بالدين

* الزعارة : شراسة الخلق

الاسلامي وبتطبيق الشريعة قولاً وعملاً ، كما يؤكد مبدأ الثواب والعقاب على ان يمدح الصبي اذا ظهر منه شيء جميل ، وان يوبخ او يتخوف اذا عمل من الاعمال ما يشين.

❁ الوسطية والاعتدال في طلب اشباع الحاجات الانسانية

يحث مسكويه الانسان على اشباع حاجاته الانسانية بوسطية واعتدال دون افراط او تفريط ، ولا يعظم امر اللذة ويجعلها الامر المطلوب والغاية الانسانية فهذا انقياد للنفس الشهوانية كما يرى والانسان انما صار انساناً بافضل هذه النفوس وهي النفس الناطقة وبها شارك الملائكة وبها باين البهائم ، فاشرف الناس من كان حظه من هذه النفس اكثر ، لذلك يرى ان اشباع الانسان لحاجاته الفسيولوجية ليكون (إما بالغذاء الذي يحفظ به اعتدال مزاجه وقوام حياته فينال منه قدره الضرورة في كماله ، ولا يطلب اللذة لعينها بل قوام الحياة التي تتبعه اللذة ، فإن تجاوز ذلك قليلاُ فبقدر ما يحفظ رتبته في مروئته ، ولا ينسب الى الدناءة والبخل بحسب حاله ومرتبته بين الناس ، واما باللباس فالذي يدفع به اذى الحر والبرد ويستر العورة ، فإن تجاوز ذلك فبقدر ما لا يستحقر ولا ينسب الى الشح على نفسه ، وإما بالجماع فالذي يحفظ نوعه وتبقى به صورته ، اعني طلب النسل ، فأن تجاوز ذلك فبقدر ما لا يخرج به عن السنة ولا يتعدى ما يملكه الى ما يملكه غيره) {مسكويه: ٦٤}.

كما شبه من (أهمل سياسة نفسه العاقلة ، وترك سلطان الشهوة يستولي عليها ، برجل معه ياقوتة حمراء شريفة لاقيمة لها من الذهب والفضة جلالة ونفاسة ، وكان بين يديه نار تضطرم فرماها في حباحبها حتى صارت كلساً لا منفعة فيها فخسرت فخسر ضروب منافعها) { مسكويه : ٦٧}.

❁ التربية الوقائية

أورد مسكويه في كتابه (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) نصائح وتوجيهات مهمة في تربية وتنشئة الصبيان ، يمكن ادراجها تحت عنوان التربية الوقائية اذ يرى أن كثيراًُ من الامور الضارة والمحرمة إذا عقلها الطفل وأقبل عليها بوعي علقت بسمعه وقلبه فيصعب مفارقتها لذا يوصي بالوقاية منها واهمها.

١- الوقاية من المفسدات السمعية :

قال ((ويطالب الصبي بحفظ محاسن الاخبار والاشعار التي تجري مجرى ما تعوده بالادب ، حتى يتأكد عنده بروايتها وحفظها والمذاكرة بها ، ويحذر النظر في الاشعار السخيفة وما فيها من ذكر العشق وأهله ، وما يوهمه إصحابه أنه ضرب من الظرف ورقة هذا الباب مفسدة للاحداث جداً)) { مسكويه : ٧٠}.

ويقاس على ما مضى كل ما يفسد خلق الصبي عن طريق السمع ، فيجب أن يتجنبه وقاية له من النتائج الوخيمة المترتبة على اعتياد هذه المسموعات البذيئة الضارة ، وربما اعتاد التلذذ بها فلا

يستطيع مفارقتها : الا بجهدٍ عسير المنال ، وكان من اليسير وقايته منها ، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج.

❁ الوقاية من البخل

ويرى مسكويه (أن يحبب الى الصبي إيثار غيره على نفسه بالغذاء والاقتصار على الشيء المعتدل والاقتصاد في التماسه ، ويزين عنده مخالفة النفس والترفع عن الحرص في المآكل خاصة وفي اللذات عامة){ مسكويه :،٧٠}.

❁ الوقاية من التباهي والتفاخر

حذر مسكويه من عدم التفاخر والتباهي بين الاقران في أمور يملكها الصبي ولايملكها اقرانه لان ذلك من الصفات المذمومة التي يرفضها العرف والدين وليست من طبائع الاخلاق فمن الضروري حفظ ووقاية الابناء من هذه الافة فيقول ((ولا يفتخر على اقرانه بشيء مما يملكه والداه ، ولابشيء من مأكله وما يجري مجراه ، بل يتواضع لكل احد ويكرم كل من عاشره)) ويوصي بعدم استغلال الاخرين وغبط حقوقهم بما لا نستحق ((ولا يتوصل بشرف ان كان له او سلطان من اهله ان اتفق الى غصب من هو دونه ، او استهداء من لا يمكنه أن يرده عن هواه او تطاوله عليه ، كمن اتفق له ان كان خاله وزيراً او عمه سلطاناً ، فتطرف به الى هضمية أقرانه وثلم اخوانه واستباحة اموال جيرانه ومعارفه)) {مسكويه : ٧٢}.

❁ الوقاية من الافراط في الشهوات

ويرى تجنب الزيادة في كل شيء عن الحد المألوف لأن الاسراف في الشهوات مذموم من الناحية العبادية ومن الناحية الصحية ، فنرى مسكويه قد علق على مضار الشهوات المتعلقة بالغذاء والكساء ،بقوله : ((والذي ينبغي ان يبدأ في تقويمها * ادب المطاعم ، فيفهم اولاً انها انما تراد للصحة لا للذة ، وإن الاغذية كلها أنما خلقت واعدت لنا لتصح بها ابداننا وتصير مادة لحياتنا ، فهي تجري مجرى الادوية التي يداوى بها الجوع والألم الحادث منه)) {مسكويه : ٧١}.

وقد ذكر مسكويه اداب مهمة للصبر في كيفية ضبط شهوته للطعام فقال ((واذا جلس مع غيره لا يبادر الى الطعام ولايديم النظر الى الوانه ، ولا يحدق اليه شديداً ويقتصر على مايليه ، ولا يسرع في الاكل ولا يوالي بين اللقم بسرعة ، ولا يعظم اللقمة ، ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها ، ولا يلطخ يده ولا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام ، ويعود أن يؤثر غيره بما يليه ، أن كان افضل ماعنده ، ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على ادنى الطعام وأدونه)) ويرى مسكويه ان هذه الاداب وأن كانت جميلة بالفقراء فهي بالاغنياء افضل واجمل {مسكويه :٧١}.

---

* يعني النفس

كما ينصح أن يعود الطفل أن لا يشرب الماء خلال طعامه ، وإما النبيذ واصناف الاشربة المسكرة فإياها ، فإنها تضره في بدنه و نفسه وتحمل على سرعة الغضب والتهور ، والاقدام على القبائح والقحة وسائر الخلال المذمومة)) {مسكويه :٧٢}.

وهكذا جمع مسكويه بين أهم الشهوات التي يميل اليها الطفل واوصى بالاحتراز من اضرارها كما اكد على الاحتراز من شهوة المغالاة في لبس الملابس الفاخرة فقال ((ويؤاخذ باشتهاته للمأكل والمشارب والملابس الفاخرة .... ويعلم ان اولى الناس بالملابس الملونة والمنقوشة النساء اللاتي يتزين للرجال ثم العبيد والخول ، وان الاحسن باهل النبل والشرف من اللباس البياض وما اشبه) {مسكويه :٧٠}.

وهو يرى ايضا ان لايعود الصبي كثرة النوم لان ذلك يؤدي الى اعتياد الكسل وكراهية الجد والعمل فيقول (ويمنع من النوم الكثير فأنه يقبحه ويغلظ ذهنه ويميت خاطره ، هذا بالليل فأما بالنهار فلا ينبغي أن يتعود البتة ، ويمنع ايضاً من الفراش الوطي وجميع انواع الترفه حتى يصلب بدنه ويتعود الخشونة ، ويعود ايضاً المشي والحركة والركوب والرياضة حتى لا يتعود اضدادها) {مسكويه :٧٣}.

وهو بهذا يدعو اولياء الامور بان يربوا ابناءهم على الرجولة والشجاعة واطلاق طاقاتهم ومواهبهم واستثمار اوقاتهم بما يعود على انفسهم وعلى مجتمعهم بالخير والنماء.

ويرى أن يمنع الصبي من (خبيث الكلام وهجينه، ومن السب واللعن ولغو الكلام ، ويعود حسن الكلام وظريفه وجميل اللقاء وكريمه) { مسكويه : ٧٣} وهنا مسكويه يعلم ان للطفل ميل الى إثبات ذاته والتعبير عن نفسه في المجتمع بواسطة الكلام لكنه يرى أن استمرار الصبي بفضول الكلام قد يعرضه الى اغتياب الناس والسير بالنميمة والافساد بينهم ، او الى الكذب والتضليل، أو الى افشاء الاسرار ، وكل هذا من العادات الذميمة التي يجب الابتعاد والوقاية منها.

ونختم بحثنا هذا بما ختم به العالم التربوي مسكويه مقالته الثانية والتي نحن بصددها بقوله (وهذه الاداب النافعة للصبيان وهي للكبار من الناس ايضاً نافعة ولكنها للاحداث أنفع لانها تعودهم محبة الفضائل وينشأون عليها ، فلا يثقل عليهم تجنب الرذائل ، ويسهل عليهم بعد ذلك جميع ما ترسمه الحكمة وتحدده الشريعة والسنة ، ويعتادون ضبط النفس كما تدعوهم اليه من اللذات القبيحة وتكفهم عن الانهماك في شيء منها والفكر الكثير فيها ، وتسوقهم الى مرتبة الفلسفة العالية وترقيهم الى معالي الامور التي وصفناها في اول الكتاب من التقرب الى الله عز وجل ، ومجاورة الملائكة مع حسن الحال في الدنيا ، وطيب العيش وجميل الاحدوثة ، وقلة الاعداء وكثرة المداح والراغبين في مودته من الفضلاء خاصة) {مسكويه : ٧٣}.

❁ الاستنتاجات

نستنتج من خلال كتاب مسكويه (تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق) انه اراد ان يضع دستوراً اخلاقياً يسير عليه الانسان المسلم من خلال :

اولاً : مجاهدة النفس ومتابعة تدريبها لتتحلى :

١- بالعفة عن طريق الاقتصاد في مآرب البدن ، حتى (لا يحملها الشره على ما يضر الجسم او يهتك المروءة).

٢-بالشجاعة عن طريق مكافحة الهوى والشهوة والغضب في غير موضعه .

٣- بالحكمة عن طريق الاستهداء بالبصيرة والاحاطة بالعلوم والمعارف الصالحة باعتبار هذا وحده هو الوسيلة الوحيدة لاصلاح النفس وتهذيبها وتحصيل (العدالة).

ثانياً: التزام الحدود الدينية والخلقية والسلوكية التالية :

١- إيثار الحق في المعتقد والصدق في القول والخير في الفعل.

٢- عدم التوقف عن الجهاد الاكبر (جهاد النفس).

٣- التمسك بالشريعة والتزام وظائفها وحفظ العهد مع الله تعالى.

٤- التقليل من الثقة بالبشر.

٥- محبة الجميل ، لذاته.

٦- كف شهوة الكلام ، واستثارة العقل قبله.

٧- فعل الصواب.

٨- منع افكار الخوف من الموت ، ومن الفقر من الدخول في دائرة التأثير على الاعمال ، وعدم الاكتراث بأهل الخير والشر.

٩-القناعة باحوال الغنى والفقر والكرامة والحسد.

١٠-ذكر المرض وقت الصحة والهم وقت السرور والرضى عند الغضب.

١١- التسلح : بقوة الامل ، وحسن الرجاء والثقة بالله تعالى.

❁ توصيات البحث

يوصي الباحثان بما يلي :

١- مواصلة الجهد في ابراز آثار العلماء والفلاسفة المسلمين في مجال الاخلاق وإسهامهم المتفرد فيه حتى تتعاظم ثقة الاجيال بتراثهم الاسلامي ويسلموا من الميل مع الاتجاهات المنحرفة التي البست زوراً ثياب التعظيم والتبجيل .

٢- السعي في تربية النشأ على الاخلاق الكريمة والمعاني الفاضلة ، والجمع في العملية التعليمية بين التعليم والتربية ، لما تقرر في ثنايا هذا البحث من أن العلم بالفضيلة غير كاف وحده للعمل بمقتضاها.

٣- لما كان الايمان اقوى البواعث على سلوك طريق الفضيلة والبعد عن مسالك الرذيلة فإن الواجب العناية التامة بغرسه في النفوس وترسيخه في القلوب ، عن طريق دور التربية ومناهج التعليم ووسائل الاعلام حتى تسهم مجتمعة في بناء جيل راسخ الايمان متين الاخلاق كما ينبغي المحافظة على الفطرة وإبعاد المؤثرات السيئة عنها لتبقى النفوس محبة للفضيلة ومهيأة لاكتسابها والاستقامة عليها.

٤- لزوم العناية بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لكونها تعد مثالاً للكمال الخلقي بل الكمال الانساني بكافة جوانبه ، كما ينبغي الاهتمام بسير السلف الصالح من رجال الامة الاسلامية وإبرازها للنشئ لتكون باعثة على التأسي والاقتداء بهم.

❁ المصادر

١. ابو العينين ، علي خليل مصطفى ، (د. ت) ، اصول الفكر التربوي الحديث بين الاتجاه الاسلامي والاتجاه التغريبي ، القاهرة ، دار الفكر العربي.

٢. ابن منظور ، محمد بن مكرم : (١٩٦٨) ، لسان العرب ، بيروت ، دار صادر.

٣.أحمد ، سعد مرسي : (١٩٧٥) ، تطور الفكر التربوي ، القاهرة ، عالم الكتب.

٤. أمين ، أحمد : (١٩٥٧) : الاخلاق ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٥. البيضاوي ، عبد الله بن عامر بن محمد الشيرازي :(١٩٧٨) أنوار التنزيل واسرار التأويل ، المطبعة العثمانية.

٦. البريزات ، عبد الحفيظ احمد علاوي :(١٩٨٤) ، نظرية التربية الخلقية عند الامام الغزالي.

٧. الجابري ، محمد عابد :(٢٠٠١) ، العقل الاخلاقي العربي – دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية (نقد العقل العربي ٤) ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية.

٨. الذيفاني ، عبد الله احمد : (١٩٩٧) ، تاريخ التربية وفلسفتها ، بيروت ، دار العلم للملايين.

٩. حسنة ، عمر عبيد :(١٩٩٢) ، مراجعات في الفكر والدعوة والحركة ، الرياض ، الدار العالمية للكتاب الاسلامي.

١٠. يوسف ، محمد كمال وآخرون : (١٩٩٠) ، الفكر التربوي ، اصوله، تطوره ، اتجاهاته المعاصرة ، الهيئة العامة للتعليم التطبيقي والتدريب ، ط٣.

١١. كوربان ، هنري: (١٩٨٣)، تاريخ الفلسفة الاسلامية ، بيروت ، منشورات عويدات .

١٢. مسكويه ، أبو علي احمد بن محمد (د. ت) تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق ، (قدم له الشيخ حسن تميم) بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة.

١٣. العامر ، نجيب خالد :(١٩٩٠) من اساليب الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية ، الكويت ، مكتبة البشرى الاسلامية.

١٤. عبد الدائم ، عبد الله : (١٩٧٣) ، التربية عبر التاريخ ، بيروت .

١٥. عباس ، ناجي : (١٩٧٩) ، فضيلة الاعتدال بين ارسطو ومسكويه ، بغداد ، مجلة افاق عربية ، ع٢١,

١٦. عبد العزيز ، سعد : (١٩٧٧) ، فلاسفة الاسلام ، القاهرة ، مطبوعات الشعب.

١٧. عبد الله ، عبد الرحمن :(١٩٨٨) ، دراسات في الفكر التربوي ، مؤسسة الرسالة.

١٨. عزت ، عبد العزيز (د. ت) : ابن مسكويه فلسفته الاخلاقية ومصادرها ، مصر ، مطبعة الحلبي.

١٩. الغزالي ، محمد : (٢٠٠٠) ، خلق المسلم ، السعودية ، دار بشير ط.١٤

٢٠. فاطمة ، محمد خير : (١٩٩٨) ، منهج الاسلام في تربية عقيدة الناشيء ، بيروت ، دار الخير.

٢١. فروخ ، عمر : (١٩٨١) ، تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، بيروت ، دار العلم للملايين.

٢٢. فرحان ، محمد جلوب : (١٩٨٦) ، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي ، الموصل ، منشورات مكتبة بسام.

٢٣. رسل ، برتراند : (١٩٧٨) التربية والنظام الاجتماعي ، ترجمة سمير عبدة ، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة ط..٢

٢٤. التكريتي ، ناجي : (١٩٨٢) ، الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية عند مفكري الاسلام ، بيروت ، دار الاندلس ، ط٢.